صناعة فهرسة المخطوطات في الجزائر(من 1245هـ/1830م إلى 1432هـ/2010م)(التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج) للدكتور / مختار حساني نموذجا

أ.د.عبد الكريم عوفي
جامعـــة أم القرى بمكة المكرمة

تمهيد

تعد الجزائر من بين البلدان العربية الغنية بالمراكز العلمية، التي تحتفظ بالمخطوطات، كالزوايا، والخزانات الشعبية، والمساجد، والكتاتيب القرآنية، والقصور، ومكتبات الأفراد والأسر.ومن أشهر هذه المراكز على سبيل المثال لا الحصر: زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة، وزاوية علي بن عمر في طولقه، وزاوية مولى القرقور بباتنة، وزاوية تماسين بورجلة، وزاوية سيدي خالد ببسكرة، وزاوية الهامل ببوسعادة، وزاوية القنادسة ببشار، وزاوية الشيخ الحملاوي في قالمة، وزاوية بطيـــوة في وهران، ومكتبات: ابن الفكون، والشيخ نعيم النعيمي بقسنطينة، والشيخ المهاجر، وابن اسماعيل، والمهدي البوعبدلي في وهران، والشيخ شعيـــب في تلمسان، والشيخ الحداد في القبائل، والأمير عبد القادر، ومكتبات وادي ميزاب، التي تفوق المائة مكتبة، وخزانات المنطقة الجنوبية من البلاد، في كل من أدرار، وبشار، وتندوف، وتمنراست[1].

إن هذه المراكز وغيرها ملأى بكنوز من التراث المخطوط، وهي تشمل مختلف فنون المعرفة الإنسانية ؛ من فقه، وأصول، وعقيدة، وتوحيد، وتفسير، وقراءات، وتجويد، وحديث، وفلسفة، وطـــب، وزراعـــة، وفقـــارات، وفلـــك، ومنطـــق، وكيمياء، وميقـــات، وحساب، ورياضيات، وجبر، وجغرافيـــة، وتاريخ، ورحـــلات، وسير، وتراجم، وآداب، ونحو، وصرف، وبلاغة، وتصوف، ووثائق، وغير ذلك مما تفرع عن هذه الأصول.

ولعل سائلاً يسأل فيقول: كيف تجمعت هذه المخطوطات في هذه المراكز المختلفة؟.والجـــواب هو أن الجزائر كغيرها من الأقطـــار العربية، عملت منذ نشأة الدولة الإسلامية، بفضل رجالها ؛ من العلماء، والحكام على تنشيط الحركة العلمية والثقافية، فأنشأت المراكز العلمية، وشجعت التعليم والتأليف وجمع المخطوطات، وكانت فيها مدن علمية شهيرة لا تقل عن مثيلاتها في الأقطار الأخرى، كما أنها كانت محطة عبور بين المشرق العربي والغرب الإسلامي، وإفريقيا.وقد استمرت هذه الحركة وتنامت حتى أيام الاحتلال الفرنسي، حيث قل نشاطها وكاد يقضى عليها.ولما استعادت البلاد حريتها وطردت المستعمر استأنفت هذه المراكز نشاطها

---

(1) لمعرفة المزيد من أسماء المراكز العلمية، ينظر بحثنا « مراكز المخطوطات في الجزائر-أماكنها ومحتوياتها »، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد: 39، الجزء: 1، ص 22.

Scanned by CamScanner

التعليـــمي، مع الأخذ بالمعطيات العلمية والمناهـــج الحديثة، فازداد ت ثروتها الفكرية، ولكن بقيت المخطوطات غير معتنى بها، إلا في العشريتين الأخيرتين.

والمخطوطات الجزائرية تعرضت لعوادي الزمن، مما جعلها محجوبة عن الدارسين، فالاستعمار الفرنسي -كما يعلم الجميع- أتى على الأخضـــر واليابس، إذ أحرق آلاف المخطوطات، ونهب أنفسها، وخرّب عقول الأهالي.فآلاف المخطوطات الجزائرية المنهوبة تحتفظ بها مكتبات ومتـــاحف الغرب، في كـــل من إيطاليا، وفرنسا، وهولندا، وأسبانيا، وألمانيا، وتركيا[1]، كما أن الطبيعة فعلت فعلتها أيضا، فما سلم من يد المستعمر لم يُحفظ في أماكن لائقة، إذ الكثير منه كان مدفونا تحت الأتربة، وفي الأقبية والأضرحة، ومازال بعضه على الحال نفسها حتى يومنا هذا، يتعرض للموت البطيء ؛ تفعل فيه السوسة والأرضة والرطوبة والحشرات والجراثيم فعلتها الشنيعة.ولعل الذي زاد الأمر خطورة هو جهل بعض مالكي المخطوطات قيمتها العلمية والحضارية، وحجبها عن المثقفين، لاعتقادهم أنها ملك لا يحق لغيرهم الاستفادة منه.كما أن الجهات الرسمية سكتت عنه وكأن الأمر لا يعنيها، باستثناء المكتبة الوطنية.

إن المراكز العلمية المختلفة في الجزائر، ما زالت تحتفظ بكنوز من المخطوطات النفيسة، لعلماء جزائريين وغير جزائريين، ولاسيما في الجنوب، وهي تنتظر حملة واسعة للكشف عنها، حتى تكون في متناول الباحثين، وللأسف لم يُعن بهذا الجانب المهم في حياتنا الفكرية والثقافية، بعد الاستـــقلال إلا في السنوات الأخيرة، مع أن المستشرقين -كما سنرى- يرجع الفضل إليهم في الاهتمام بمخطوطات البلاد، وهم الذين شكلوا نواة المكتبة الوطنية، مع بداية الاحتلال.

ومما يثير الحيرة هو أن المحاولات التي قام بها أبناء البلاد معظمها محاولات فردية قام بها أشخاص، ممن لهم غيرة على تراث الأمة.فقد حقق نفر من العلماء جملة من المخطوطات لعلماء جزائريين، كما أرخ بعضهم للحركة الثقافية في الجزائر عبر الأعصر المختلفة، وأعد أفراد آخرون عددا من الأبحاث والدراسات والفهارس والقوائم، تخص بعض المراكز، وهي محاولات طيبة، لكنها لا تشكل إلا نسبة قليلة مما ينبغي إنجازه.

فما هي أهم المراكز العلمية التي تحتفظ بالمخطوطات في الجزائر؟، وماهي الدراسات والأبحاث التي أقيمت حولها ؟، وماهي أشهر الفهارس العلمية والقوائم الاسمية، التي أنجزت لمخطوطات المراكز العلمية ؛ من زوايا، ومكتبات، وخزانات، ومساجد، منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية العشرية الأولى من هذه الألفية؟، وما هي المناهج المتبعة في إنجازها ؟، ومانوع الإطارت (الكوادر) التي أنجزت هذا الرصيد المعرفي لمخطوطات الجزائر؟، وما نوع المشاكل والصعوبات التي واجهت المفهرسين والدارسين في حقل المخطوطات ؟، وماهي الحلول التي يمكن تقديمها للتغلب على هذه الصعوبات، التي تعترض سبل الباحثين في الوصول إلى تحقيق مسح شامل للمخطوطات في الجزائر؛ جمعا، وتعريفا، وفهرسة، وتحقيقا، ودراسة، ونشرا، لتستفيد منها الأجيال المتعاقبة ؟.

---

(1) كما نقل العلماء الجزائريون في أثناء هجرتهم أيام الاحتلال إلى كل من تونس والمغرب وبعض البلدان العربية الأخرى ما تحتفظ به مكتباتهم من كتب ومخطوطات خوفا من أن تطالها يد المستعمر، وبقيت هناك حتى اليوم.

Scanned by CamScanner

إن هذه التساؤلات تحتاج إلى تأليف كُتبٍ تتناول موضوع المخطوطات من مختلف جوانبها ؛ ماضيا وحاضرا، ومستقبلا.وقد يسر الله لي التوفيق بعد عمل دام أكثر من عشرين سنةعلى تأليف كتاب أجبت فيه عما يتعلق بصناعة الفهرسة في الجزائر، أسميته (**صناعة فهرسة المخطوطات في الجزائر** (من 1245هـ/1830م إلى 1432هـ/2010 م)

وهو محاولة علمية وصفية تقويمية، وقفت فيها على صناعة فهرسة المخطوطات في الجزائر، على مدى يزيد من قرن ونصف من الزمن، أي: منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى العشر ية الأولى من الألفية الثالثة.و إشكاليته تطرح جانباً من جوانب التراث المخطوط في الجزائر، الذي سُكِت عنه بقصد أو عن غير قصد، فبقي محجوبا عن الباحثين وطلبة العلم، رغـــم غناه وتنوعه.ولاأزعم أنني أحطت بكل بما كُتب في هذا الحقل المعرفي، وإني آمل أن يُطبع قريبا ليستفيد منه خدمة التراث .

وأشير إلى أن العمل في حقل المخطوطات في جامعاتنا ومراكزنا العلمية من الأمور التي لم تُلفت انتباه الدارسين والباحثين، لعوامل لا يسمح المجال لذكرها هاهنا[1]، باستثناء جامعة الجزائر الرائدة في هذا المجال، وبعض المحاولات الفردية في جامعتي قسنطينة ووهران.

كما أذكـــر أني سعيـــت لإجراء مسح شامل في كامل التراب الوطني ؛ تنقلت إلى المكتبات والمراكز البحثية، والزوايا ؛ شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا، ونقبت كثيراً وسألت أهل العلم وشيوخ الزوايا، فكتبت عما وقع بين يدي وتناهى إلي، فإن ظهر شيء ولم يرد ذكره في هذا الكتاب، فما كان قصدنا التنكر لصاحبه، وإنما هو جهد المقل[2].

وإنصافا لأهل الفضل والعلم أقول: إن المخابر العلمية التي أنشأها الزملاء الأساتذة في عدد من الجامعات، والمؤتمرات التي تقام هنا وهناك للاهتمام بشؤون المخطوطات أمر يبشر بالخير الكثير، وإني لآمل أن يتواصل معي كل من له غيرة على إحياء كنوزنا التراثية التي بقيت محجوبة عن الباحثين وطلبة العلم، وذلك للعمل على تجليتـــها وبعث دورها الحضاري الذي أنشئت من أجله.

وبهذه المناسبة أرجو ممن أنجز عملا مماثلا، أو وقف على فهارس غير التي وردت في الكتاب المذكور، سواء أكانت قديمة أم حديثة أن يوافيني بأماكن وجودها وأخبارها، لاستدراكها لاحقا، وذلك على بريدي التاليين:

Aoufi-a@hotmail.com أو aaaoufi@uqu.edu.sa

وفي هذا السياق تأتي ورقة العمل التي أتقدم بها إلى إخواني وزملائي في هذا المؤتمر المتميز في موضوعه، إذ سأعرض عليكم فهرسا من الكتب التي شملها التوصيف، باعتباره من أوسع الفهارس التي تناولت

---

(1) كتبت عنها في عدد من الأبحاث التي نشرتها عن المخطوطات في الجزائر.

(2) أنجزت القسم الأول في أثناء الأزمة الأمنية التي شهدتها الجزائر، وكان التنقل بومها إلى جهات مختلفة في الوطن صعبا.

Scanned by CamScanner

المخطوطات الجزائرية في داخل الجزائر وخارجها –كما يزعم مؤلفه– مبينا منهجه ومضامينه، وما وقع فيه المؤلف من أخطاء شنيعة.والكتاب هو:

(التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج)

وهو من تأليف الدكتورمختار حساني، الكتاب نشـــرته دار الحضارة بالجزائر، الطبعة الأولى، عام 2009م، من الحجم العادي، ويقع في سبعة أجزاء، قدم له الدكتور علي خلاصي في أربع صفحات توازي قيمتها الكتاب بأجزائه السبعة بالنظر إلى الأخطاء التاي وقع فيها المؤلف.

أما منهج الكتاب فلم أستطع أن أتبين له ضوابط دقيقة، لمخالفة المؤلف قواعد الفهرسة والتوصيف التي جرى عليها علماء علم المخطوطات وفهرستها، فقدضاع في زحمة المخطوطات، وعدم الدراية الكافية بالحقول المعرفية التي تمثلها المخطوطات المفهرسة.ومع ذلك أحاول تقريب الصورة للمستمع والقارئ حتى يتمكن من أخذ فكرة عن الكتاب بصورة إجمالية.

حقق[1] المؤلف في هذا الكتاب أثرا مخطوطا، يتعلق بتاريخ الجزائر، وجملة من الوثائق التاريخية والسياسية والاقتصادية التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية، وذلك في الأجزاء الثلاثة الأولى، أما الأجزاء الأربعة الباقية فتوقف فيها عند توصيف نماذج من المخطوطات في الشمال والجنوب، في داخل الجزائر، وفي خارجها، وذلك من خلال بعض المكتبات والزوايا ومراكز العلم، في البلدان العربية والغربية.

وفيما يلي تبيان بما تضمنته أجزاء الكتاب، مع جملة من الملاحظات حول منهج الكتاب ومادته.

الجزء الأول: ويقع في (316) صفحة، وعنوانه الفرعي: تاريخ الجزائر من خلال المخطوط[2](كتاب الشماريخ نموذجا): وقد تناول المؤلف في هذا الجزء تحقيق قسم من كتاب " زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ"، لأبي عبد الله بن الأعرج السليماني، المتوفى سنة (1344هـ/1925م).قدَّم للنص بحديث عن المؤلف في صفحتين وبين أن الكتاب وصل منه أربعة أقسام، والقسم الثالث منها يقع في فصلين، سيحقق الجزئية الخاصة بالتاريخ الوطني، ثم عرض ما اشتمل عليه من قضايا، كالعلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا، وعوامل الاحتلال، وسياسة فرنسا في الجزائر في الأقاليم المختلفة، والإدارة، والتعليم، والقضاء، والمعاهـــدات، ومعارك الأمير عبد القادر، وسياسة التجنيد، ومعاهدة تافنا، ثم عرض النص في ثلاثة أبواب، تناول الأول العصور الوسطى، والثاني عهد الدولة الجزائرية الحديثة، والثالث العصور المعاصرة.وألحقـــه بعدد من صفحات المخطوط.

ولي ملاحظة هنا على عمل المحقق، وهي أن الطريقة التي قدم بها النص محققا لا ترقى إلى المستوى المطلوب، إذْ خالف ما درج عليه العلماء في فن تحقيق المخطوطات، فقد حرَّف النص، ولم يخرِّج قضاياه، وسلَّم بالأحداث التاريخية دون التأكد منها، أما إهمال علامات الترقيم فأمر محير لا تخلو منه صفحة واحدة من

---

(1) لكن الصواب جانبه – في رأيي–، لأن ما عرضه شيء والتحقيق بمفهومه العلمي شيء آخر.

(2) كذا كتبه على وجه الغلاف.

Scanned by CamScanner

صفحات الكتاب، وإهمال هذا الجانب يؤدي إلى تداخل الكلام بعضه بعض، فينتج عنه ذهاب القصد الذي يرمي إليه المؤلف[1].

الجزء الثاني: ويقع في (333) صفحة، وعنوانه الفرعي: الوثائق المخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية " نماذج"، هذا الجزء يشمل مجموعة من الوثائق التاريخية التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية، تتحدث عن مدينة الجزائر من حيث الطبقات الاجتماعية، والحركة الاقتصادية، والميـــاه، والحرف الصناعية، والأحوال السياسية، وعلاقة الجزائر بالدول الخارجية، والعلاقة بين الخلافة العثمانية والجزائر، كما تناولت الحياة في المدن الداخلية، مثل: بسكرة، والقالة، وعنابة، وبجاية، وتناولت أيضا العلاقات الخارجية للدولة الجزائرية، كما تحدثت عن الداي حسين وعلاقاته بالولايات الداخلية، ثم عرض المؤلف مخطوطا نموذجيا سماه (تاريخ قسنطينة لمؤلف مجهول)، ثم أتبعه بعنوان آخر سماه (الوثائق المدروسة).

وقد حاولت جهد المستطاع فهم ماعرضه المؤلف في هذا الجزء، فتعذّر الأمر علي، لأن الطريقة التي عرض بها الوثائق فيها شيء من عدم الدقة في تناولها، إذْ القارئ لا يستطيع التمييز بين كلام المؤلف ونصوص الوثائق، فقد مزج بين أقواله ونصوص الوثائق، ولم يراع المنهجية العلمية في تناول الوثائق وتوثيق رواياتها، وكذا ما يعرضه من شروح توضيحية، وفي اعتقادي أنه كان بالإمكان الاستعانة بكتب التاريخ الجزائري للفترة العثمانية، وهي كثيرة ومتداولة، يأتي في مقدمتها كتب الدكتورأبوالقاسم سعد الله، وآثار – المرحوم- الدكتور يحي بوعزيز، وغير ذلك مما كتبه مؤرخو الجزائر حول هذه الحقبة من تاريخ الجزائر، وفي ظني لو راعى هذا الجانب بدقة لتفادي الاضطراب والفوضى والخلط الذي وقع في نصوص هذا الجزء وسابقه.

الجزء الثالث: ويقع في (317) صفحة، وعنوانه الفرعي تتمة لسابقه، وهو: الوثائق المخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية "نماذج"، تناول فيه المؤلف جملة من الوثائق الإرشيفية التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية، وتشمل العلاقات بين الجزائر وكل من ومصـــر، واليونان، والبرتغال، وإسبانيا، وتونس، وأمريكا، والعلاقات الجزائرية بالدولة العثمانية ؛ في مظاهر الحياة الاجتماعية، والسياسية، والعسكرية، كما اشتمل الجزء على وثائق أخرى، وشرح لبعض المصطلحات، وصور لوثائق، وعشرة أسماء لمصادر استفاد منها المؤلف[2].

وهذا الجزء أيضا جاءت مادته مضطربة ومتداخلة، لأن المؤلف لم يتبع منهجا علميا سليما في دراستها وتوثيقها، كما أنه لم يُحسن التأليف فيما بينها من حيث موضوعاتها.

---

(1) لا أريد أن أتدخل في القضايا التاريخية، فاهتمامي في اللغوية لا تسمح لي بالتطاول على مجال المؤرخين، لعل أصحاب الشـــأن يتولـــون هـــذا الجانب، وقد أعددت دراسة نقدية حول الكتاب وما اعتوره من مشكلات في منهجه وطريقة -فهرسة المخطوطات، والأخطاء التي وقع فيها المؤلف، سأنشرها في إحدى المجلات، وقد تمنيت لو أن الدكتور مختار حساني نشر الأجزاء الثلاثة الأولى مستقلة ومنفصلة عن الفهارس، لأن مسوغات الرابط بينها منعدم.

(2) وهو الموضع الوحيد الذي ذكر فيه بعض مصادر كتابه.

Scanned by CamScanner

الجزء الرابع: ويقع في (341) صفحة، وعنوانه الفرعي: فهرس مخطوطات علماء الجزائر بالخزائن الوطنية " الشمال"، وهو الباب الأول من الأجزاء الأربعة الباقية، وعَنونَه ب (الخزائن الجزائرية في المناطق الشمالية).

قدَّم له بحديث تناول تعريف المخطوط، وأهمية التراث المخطوط، وعناية الجزائر به منذ قيام الدولة الرستميـــة في الجزائر، ومكتبات المساجد، والمكتبة الوطنية، وفهرسة شبكة مخابر المخطوطات، وضياع التراث وإتلافه، والجهود التي يقوم بها بعض المشتغلين بالتراث من أساتذة الجامعات وطلاب العلم في العشرية الأخيرة، ولاسيما طلبة قسم علم المكتبات والوثائق في جامعة الجزائر، وجهوده الشخصية التي قام بها، كما ألمح إلى ما تمتاز به بعض المخطوطات التي فهرسها من سمات، كالنسَّاخ وأدوات النسخ، والزخرفة والرسومات، والحواشي، ثم ذكر جملة من الأسباب التي دفعته لإنجاز هذا الفهرس، مُعتمدا على ما كتبه شيخ المؤرخين الجزائريين، الأستاذ الدكتورأبو القاسم سعد الله في موسوعته (تاريخ الجزائر الثقافي)، وفي آخر تقدمته ذكر في فقرة طريقته في الفهرسة، مُقرا اعتماده في فهرسة مخطوطات المكتبة الوطنية على ما أنجزه بعض الأساتذة وطلبة قسم علم المكتبات، وعلى جهده الشخصي في فهرسة بعض الخزائن والمكتبات.

ولكني أقول أيضا: إن أخي وزميلي الدكتور مختارحساني في هذه التقدمة التي غطت من الكتاب (43) صفحة جاء عمله مضطربا غير دقيـــق في عرضه وصياغته، بل انعدم فيه التوثيق العلمي، باستثناء أربعة هوامش وظفها حين عرَّف المخطوط، وهو ما يجعلنا لا نطمئن لصحة ما ذكره من مادة علمية في الكتاب عامة.

أما عناصر البطاقة التوصيفية التي اعتمدها فهي: المؤلف، العنوان، الموضوع، البداية، النهاية، عدد الأوراق، المقياس، تاريخ النسخ، الخط، مكان النسخ، لون الحبر، عناوين أخرى للمخطوط، الحالة المادية للمخطوط (وضعية المخطوط)، المصادر.

وهذه العناصر لم تُراع في كل المخطوطات المفهرسة.

وقد بلغ مجموع المخطوطات المفهرسة في هذا الجزء (491) مخطوطة، ولأن منهجه غير سليم في عرض المخطوطات المفهرسة، وفيه خلط في مجالاتها المعرفية، رأيت أن أقدمها في هذاالجدول حسب حقولها المعرفية التي ذكرها،وذلك لتقريب مضمون الفهرس للقارئ[1]:

(1) سأعرض مخطوطات الأجزاء الأخرى عبر جداول مماثلة.

Scanned by CamScanner

الرقم	الخزانة (المكتبة)	عدد المخطوطات	الحقول المعرفية[1]	ملاحظات
1	مخطوطات المكتبة الوطنية	151	تر، تص، فق، نح، عك، تو، قر، أد، تر، بل، فل، من، سي، تف، حد، نو، تا	خلط في الحقول
2	مخطوطات وزارة الشؤون الدينية	74	قر، حد، فق، عق، من، تو، فر، قض، حس، تا، قض	خلط في الحقول
3	المركز الثقافي لولاية غليزان	8	تو، تص، تف، أد، سي	خلط في الحقول
4	زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة	9	تص، تو، عق، قر	خلط في الحقول
5	خزانة الشيخ محمد العابد السماتي	1	فق	/
6	خزانة سيدي خالد من قرى سيدي خالد	2	أد، لغ	/
7	خزانة فريطس بلقاسم مسعد- ولاية الجلفة	6	تص، غق، طب، قر، تأ	خلط في الحقول
8	خزانة جمعية أمجاد الجلفة – ولاية الجلفة	5	فق، قر، عق، تص	خلط في الحقول
9	خزانة الشيخ عبد القادر العثماني	2	تر	/
10	خزانة الشيخ أبي صالح العثماني	5	قر، فق، حد	خلط في الحقول

[1] دللت على الحقول الدلالة التي تشملها المخطوطات المفهرسة بالرموز التالية طلبا للاختصار:
تف: التفسير، قر: علوم القرآن وقراءاته، تص: التصوف، نو: النوازل، ر: رحلات، عس: علم النفس، عك: علم الكلام، ت: التربية، س: السياسة، تو: التوحيد، عق: العقيدة، ح: الحديث، حس: الحساب، نح: النحو، خط: الخطب والمواعظ، مد: مدائح،فس: فلسفة، صن: صناعة، تأ: التاريخ، سي: السيرة، تر: التراجم والأنساب، قض:القضاء، فر: الفرائض، فل: الفلك، من: المنطق، أد: الأدب، بل: بلاغة، لغ: اللغة، فق: الفقه، جغ: جغرافية.

Scanned by CamScanner

11	خزانة قصر الصبيحي للشيخ الهادي	6	فق، تص، قر، من	خلط في الحقول
12	خزانة الشيخ عبد الحميد بن باديس ببوسعادة	1	سيرة	/
13	خزانة الشيخ الزيديري	2	فل، حد	/
14	خزانة عبد القادر بن علي بن محمد ابن منير الشريف الهاملي	43	أد، لغ، تص، قر، قض، فر، سي، حد، عق، تأ، طب، مد، تص، صن	خلط في الحقول
15	خزانة بني ورتلان	23	خط، تأ، فق، ر،عك، تف، قض، تص، مد	خلط في الحقول
16	خزانة زاوية الهامل	55	قر، تأ، ر، تص، عق، من، فل	خلط في الحقول
17	مخطوطات بني الميهوب	82	تر، تص، طب، حس، فر، فل، فق، عق، نح، أد، من، بل، قر، فس	خلط في الحقول
18	خزانة الشيخ البشير محمودي – البرج ولاية أمعسكر معسكر	16	صي، من، عق، فق، فل، أد	خلط في الحقول
	المجموع العام			491

ومما يحسن التنبيه إليه هنا أيضا هو أن ا المؤلف خالف قواعد الفهرسة مخالفة لا يمكن تبريرها، فتتبع أخي القارئ معي فهرسته للمخطوط الوحيد الذي ذكر في الخزانة رقم (12)، فقد فهرسه على النحو التالي:

[المؤلف: مجهول، العنوان: كتاب سيرة ذي القرنين، الناسخ: المكي بن أبي العباس بن عبد الله أبو سعدي، تاريخ النسخ: 1329هـ، المقياس:20×22سم].هذا كل ماذكره في توصيف المخطوط، وهو أمرمحير، إذْ كيف يتمكن الباحث عن نُسخ المخطوط الذي يحققه من الـتأكد من أن ما أشار إليه الدكتور مختار حساني في فهرسته هو نسخة مما يبحث عنه، فهذا المسلك يجعلنا لا نطمئن لصحة الفهرسة التي أنجزها، وسو ف تأتي أمثلة أخرى لطريقة التوصيف التي أخذ بها في الكتاب عامة، كما خلط أيضا خلطا كبيرا في تصنيف حقول المخطوطات الموصوفة.(ينظر ص: 235، 237).

ومن غرائب هذا العمل المستعجل ما ذكره بشأن زاوية الهامل المفهرسة تحت الرقم المذكور أعلاه (16)، إذ عمله لا يعكس حقيقة مخطوطات الزاوية، فهذه الزاوية أُنجز لها فهرست وطبع في دار الغرب

Scanned by CamScanner

الإسلامي، وهو موصوف في هذا الكتاب، وما ذكره المؤلف هنا لا يرقى إلى الفهرسة الفنية المطلوبة البتة شكلا ومضمونا.

وكذلك ما ذكره بشأن زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة رقم (4) في الجدول أعلاه، إذْ ذكر أن عدد مخطوطاتها (9) وحقولها المعرفية (4)، وهو خطأ جسيم، وتشويه للحقيقة العلمية، فالزاوية أعددت لها فهرسا، وعدد مخطوطاتها يزيد عن (400) مخطوطة،وفيها مختلف حقول المعرفة العلمية.وقد أشرت إليها في عدد من المقالات التي نشـــرتها حول مراكز التراث المخطوط في الجزائر، وهو على علم بها، فلا أدري كيف وقع في هذا الخطأ الجسيم.

الجزء الخامس: فهرس مخطوطات علماء الجزائر بالخزائن الوطنية: ويقع في (319)، وعنوانه الفرعي: فهرس مخطوطات علماء الجزائر بالخزائن الوطنية "الجنوب"، وهو الباب الثاني من الأجزاء الخاصة بالفهارس، وعنوان الباب: (الخزائن الجزائرية في المناطق الجنوبية).

وقد فهرس فيه (23) خزانة، ومنهجه فيه لا يختلف عما سبق ذكره في الجزء الرابع السابق، وهي تشمل حقول معرفيـــة مختلفة، لكنها تتفاوت من حيث حقولها، وعدد المخطوطات التي تحتفظ بها، وقد حاولت حصرها أيضا في الجدول التالي:

الرقم	الخزانة (المكتبة)	عدد المخطوطات	الحقول المعرفية	ملاحظات
1	خزانة طولقه	53	فق، تف، حد، عق، نو	خلط في الحقول وخطأ في العدد
2	خزانة مخطوطات مجموعة بلقاسم ضيف	50	عق، قر، فق، قض، تف، نو، لغ، أد، من، جغ، حد،	خلط في الحقول
3	مخطوطات خزائن وادي ميزاب(مكتبة الاستقامة)	20	نو، من، لغ، تأ	خلط في الحقول
4	مكتبة إروان التلاميذ بالعطف	22	فق، عق، نو، تر	خلط في الحقول
5	مكتبة القطب ببني يزقن	79	فق، عق، قر، بل، لغ، أد، ر، تف	خلط في الحقول
6	مخطوطات خزانة الشيخ حمو بابا وموسى	70	قر، عق، حد، تف، نو، فق، نح، من، تأ، قل، أد	خلط في الحقول

Scanned by CamScanner

الرقم	الخزانة (المكتبة)	عدد المخطوطات	الحقول المعرفية	ملاحظات
7	مخطوطات مكتبة الشيخ عمي موسى	6	عق، قر	/
8	مخطوطات الخزانة العامة	129	تف، حد، عق، فق، نح، من، أد، مو، تص، نو	خلط في الحقول
9	مخطوطات مكتبة محمد ابن أيوب الحاج سعيد الخبورات	36	فق، عق، نح، تأ	خلط في الحقول
10	خزائن ولاية أدرار(خزانة كوسام)	38	فق، تص، قر، حد، من، لغ، تو	خلط في الحقول
11	خزانة زاوية كنته بمدينة أقبلي – أدرار	8	فق، تو، فر، قر، لغ، تص	خلط في الحقول
12	خزانة مطارفة دائرة أوقروت- أدرار	3	تو، لغ	
13	خزانة المطارفة أدرار	20	تص، حي، قر، فق، بل، نول، عق، تأ، فر	خلط في الحقول
14	زاوية باحو – رقان	6	حس، فق، لغ، عر، بل	/
15	خزانة زاوية بالعالم محمد باي – أولف	9	قر، تو، فق، نح، عق	خلط في الحقول
16	الخزانة البكرية	3	نو، فق	/
17	خزانة ملوكة	22	لغ، نو، عر، من	خلط في الحقول
18	خزانة أولاد ابراهيم	6	ف، نو	/
19	خزانة التنلاني	14	ر، نح، عق، تر	خلط في الحقول
20	خزانة تاسبيت – ولاية أدرار	33	لغ، فق، نو، عق، من، فر، عر، سي، تص	خلط في الحقول
	المجموع			628

وهذا الجزء شابته أيضا نواقص كثيرة كسابقيه.وعلى سبيل المثال ذكر أن زاوية طولقة تحتفظ (53)

Scanned by CamScanner

مخطوطة، وفيها خمسة حقول معرفية فقط، والصواب: مخطوطاتها تفوق الألف مخطوطة، وتشمل حل الحفنوق اللغوية والفنية، حسب ما وقفت عليه في زياراتي المتعددة إليها.

الجزء السادس: فهرس المخطوطات خارج الجزائر: ويقع في (326) صفحة، وعنوانه الفرعي (فهرس المخطوطات خارج الجزائر)، وهو الباب الثالث من الأجزاء الخاصة بالفهارس، وعنوان الباب: (الخزائن العربية بلاد المشرق والمغرب العربيين)، والعجيب أن هذه الجزئية تقع في (14) صفحة، ومكانها الحقيقي الجزء السابع الآتي الخاص بالمخطوطات في المملكة المغربية، ومن هذه الخزائن والمكتبات:

الرقم	الخزانة (المكتبة)	عدد المخطوطات	الحقول المعرفية	ملاحظات
1	المخطوطات الجزائرية بالجمهورية العربية السورية (خزانة الأسد)	66	جغ، حد، أد، ر، تأ، فق، تص، فل، قر، تو	خلط في الحقول
2	المخطوطات الجزائرية بالمملكة العربية السعودية (مخطوطات المسجد النبوي)	28	قر، حد، فق، نو، تص	خلط في الحقول وخطأ في الإحصاء
3	المخطوطات الجزائرية بالجمهورية العراقية (مكتبة الأوقاف بغداد)	17	عق، تر، أد، فق، من	خلط في الحقول
4	مخطوطات الدراسات العليا (جامعة بغداد)	16	من، أد، لغ، تأ	خلط في الحقول
5	المخطوطات الجزائرية بالجمهورية التونسية(مكتبة حسن حسني عبد الوهاب)	25	تف، عق، تص، قر، نو، من، أد، سي، فر،	خلط في الحقول
6	مكتبة الأحمدية بتونس (جامع الزيتونة)	97	لغ، تأ، تر، أد، نو، عق، فق، تو، تص، تف، سي، من، حد	خلط في الحقول
7	مكتبة دار الكتب الوطنية	34	فق، تص، لغ، فل، من، سي	خلط في الحقول
8	خزانة حسن حسني عبد الوهاب (بتونس)	32	تص، عق، فق، أد، تر، طب	خلط في الحقول
9	المخطوطات الجزائرية بالجماهيرية العربية الليبية (مخطوطات مركز الجهاد بليبيا)	43	عق، تص	خلط في الحقول

Scanned by CamScanner

الرقم	الخزانة (المكتبة)	عدد المخطوطات	الحقول المعرفية	ملاحظات
10	المخطوطات الجزائرية بخزائن موريتانيا (خزانة شنقيط)	25	عق، من، فق، عر، بل	خلط في الحقول
11	خزانة زاوية بالعالم محمد باي أولف[1]	75	قر، من، تف، فق، عق، تص، قض، لغ، نو، عر، تو، س، أد، تر	خلط في الحقول
12	المخطوطات الجزائرية في خزائن المملكة المغربية (الخزانة العامة)	13	عق، من، فر، عس، حد	خلط في الحقول
	المجموع			417

وفي هذا الجزء أيضا أخطاء وأوهامكثيرة، فمثلا ذكر أن مكتبة الأسد تحتفظ ب(66) مخطوطة، لعلماء جزائريين، والحقيقة غير ذلك، فقد أعد طالب بقسم المكتبات في جامعة قسنطينة مذكرة تخرج، فهرس فيها مؤلفات الشيخ طاهر الجزائري ومخطوطات بعض الأعلام الجزائر الجزائريين، أحصى فيها (223) مخطوطة، منه(182) مخطوطة للشيخ طاهر والباقي للعلماء الآخرين، وتتوزع جميعها على (19) مجالا معرفيا، في حين يذكر المفهرس أن مكتبة الأسد (تحتفظ ب(66) مخطوطة، تتوزع على عشر مجالات معرفية .

والأشنع من ذلك ماذكره بشأن المخطوطات الجزائرية الموجودة في المملكة العربية السعودية، فقد ذكر أن مكتبة المسجد النبوي تحتفظ ب (28) مخطوطة، وسكت على ماتحتفظ به المكتبات الجامعية، ومكتبة مركز الملك فيصل، وغيرها كثير، إذا تصل فيها المخطوطات الجزائرية الخطية الأصلية أو المصورة المثات.

فأين نحن من الحقيقة العلمية في ضوء هذا التخليط والتغليط، ومجانبة المنهج العلمي والأمانة العلمية ؟ ماذا يقول أبناؤنا الطلبة الذين نعلمهم أصول البحث العلمي ونطالبهم بتوخي المنهجية والأمانة والصدق، عندما يقفون على الحقيقة في مثل هذه الأحوال؟.إنه أمر عجيب ومحير !.

الجزء السابع: فهرس المخطوطات خارج الجزائر: ويقع في (334) صفحة، وعنوانه الفرعي (فهرس المخطوطات خارج الجزائر)، وهوتتمة للباب الرابع الذي ورد في آخر الجزء السادس، وعنوانه (خزائن المملكة المغربية).

(1) هذه الخزانة يُفترض أن تصنف ضمن مخطوطات الجزائر في الجنوب. وهذا مظهر من مظاهر الخلط الذي شاب هذا الفهرس عامة.

Scanned by CamScanner

لرقم	الخزانة (المكتبة)	عدد المخطوطات	الحقول المعرفية	ملاحظات
1	فهرس مخطوطات علال الغازي (المملكة المغربية)	39	تف، عق، فق، تص، نح، تأ، فل، أد	خلط في الحقول
2	المخطوطات الجزائرية بالخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازا	34	عق، تص، فق، نح، نو، تف	خلط في الحقول
3	المخطوطات الجزائرية بخزانة مسجد القرويين	15	فق، سي، تص، قر، حد	خلط في الحقول
4	مخطوات خزانة الحسنية	32+20نسخة مكررة	تر، تأ، فل، من، طب، ت	خلط في الحقول
5	المخطوطات الجزائرية بالمكتبة العامة (تيطوان)	57	أد، تص، تف، فق، س، طب، فر، فنون، ت، حد، فل، عق،من	خلط في الحقول
6	مخطوطات بخزانة ابن يوسف المراكشي	26	تر، فق، حد، تص، تو، قر، عق، من، عر	خلط في الحقول
7	مخطوطات الجامع الكبير (مكناس)	7	عق، فق، تف، قر، تص	خلط في الحقول
8	مخطوطات خزانة انغملت (بني ملال)	38	فر، عق، تص، تو، فر، من، حد، فل، نح، تف، أد، سي	خلط في الحقول
9	مخطوطات خزانة تامكروت	35	وعظ، من، تص، قر، فر، لغ	خلط في الحقول
10	فهرس مخطوطات خزانة القرويين	112	تف، قر، سي، تص، عق، تأ، تو، تر، من، فل، حس، س، فق، حد، قض، نو، نح، قر، طب، أد، ت	خلط في الحقول

Scanned by CamScanner

الرقم	الخزانة (المكتبة)	عدد المخطوطات	الحقول المعرفية	ملاحظات
	المجموع			454

لقد قرأت الكتاب فهالني ما فيه من مخالفات منهجية وعلمية وأسلوبية، وكتبت عنه ما يقابل جزءا من أجزائه السبعة، وخلصت إلى أن إقدام المؤلف على طبع هذا الكتاب في صورته الحالية خطأ جسيم في حق تراثنا، لأنه مسخ وشوّه الحقائق العلمية، وخالف قواعد منهج البحث العلمي، فإعدامه من المكتبات أولى من إبقائه فيها، لكي لا ينتقل الخطأ إلى الأجيال المتعاقبة.

قد يكون حكمي على الكتاب قاسيا، أعرف مؤلفه وأعلم ظروفه، ولكن السؤال الكبير الذي يطرح في هذا المقام هو: كيف تأتى للدكتور مختار حساني تأليف هذا الكتاب في سبعة أجزاء، وهو مدونة عن التراث الجزائري المخطوط الموزع في دور العلم المختلفة، في الداخل وفي الخارج –كما جاء في عنوان الكتاب –معرفة هذه المخطوطات ؟ لم يحدثنا عن مصادره ومراجعه ورحلاته –إن كانت ثمة رحلات قام بها، أعلم أنه يرحل كثيرا ورحلت معه إلى تندوف وإلى أدرار.الكتاب لم توثق مادته، ومعلوم عند أهل الاختصاص، بل وتعلم طلبتنا أن المادة العلمية التي نستدل بها على صحة ما نذهب إليه في أبحاثنا لاقيمة لها ما لم تُوثّق، فكيف نطمئن إلى سلامة ماجاء في الكتاب في غياب التوثيق العلمي ؟ نعم وظف هوامش في الأجزاء الثلاثة الخاصة بالأحداث التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية التي وردت في النصوص المحققة، (وهي مشوهة عن طريق التحريف)، وقد ذكر بعض المصادر والمراجع، ولكننا لانجد لها أثرا في الكتاب، بل الأجزاء الأربعة الأخيرة خالية من التوثيق.فهذا المسلك مخالف لقواعد البحث العلمي، وتراثنا الغني والمتنوع والمتميز يحتاج منا إلى وقفة وحملة نوعية تميط اللثام عنه، لاطمسه من جديد وإحكام الغلق عليه.

وأخيرا أقترح على أخي وزميلي الدكتور مختار حساني أن يُعيد النظر في الكتاب بالاستعانة ممن لهم دراية بعلم المخطوطات وفن الفهرسة، وإخراجه بما يليق بمضمونها، وبمن أنتجها، وبمن حفظها من عاديات الزمن، ليصدق فيا قوله تعالى: "ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلمؤا إن الله عزيز غفور" فاطر: ٢٨.

المصادر والمراجع

- تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري (16-20 م): د.أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ-1981م.
- تاريخ الجزائر الثقافي- تسعة أجزاء-: د.أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1998م.

Scanned by CamScanner